حواراتهم السرية مع الصرب فشلت بسبب الخلاف على تقاسم الاراضي

حلم الكرواتيين بتقسيم البوسنة وراء تفجر القتال الاخير مع المسلمين

□ زغرب – من أسعد طه:

■ ترددت تفسيرات متعددة لاسباب الصدام الدموي بين المسلمين والكرواتيين الذي يعتبر الاعنف في سلسلة المواجهات بين الطرفين التي بدأت تشهد منحى تصاعدياً منذ سقوط بوزانسكي برود ويابيتسا اثر اتهامات المسلمين للكرواتيين بالاتفاق مع الطرف الصربي على تسليم البلدتين في اطار صفقات متبادلة.

وتبادل الطرفان في هذا الاطار الاتهامات بالمسؤولية عن تفجير القتال. فاعتبر الكرواتيون ان اقدام مجلس رئاسة البوسنة – الهرسك على تعيين صافت تشيبو رئيساً للمجلس العسكري لمناطق كونيتس – بروزور – يابلانيتسا دليلاً على نية المواجهة باعتبار ان الرجل من انصار البوسنة الموحدة المركزية على حد قولهم.

وادعى الكرواتيون ايضاً ان الجيش البوسني وجد انه لا مستقبل له في شرق البوسنة اثر الهزائم المتتالية التي مني بها وانه من الاجدى تعويض الاراضي المفقودة هناك بغيرها في الوسط، الى غير ذلك من الاتهامات التي دأبت وسائل الاعلام الكرواتية على تكرارها من دون ملل والقائلة ان تيارين يحكمان قبضتهما على الجيش البوسني وقد اتفقا، على رغم تناقضهما العقائدي، في الموقف ازاء الاقلية الكرواتية. وهذا التياران هما التيار الاصولي الساعي الى اقامة دولة اسلامية في البوسنة والتيار الشيوعي الذي يجد نفسه روحياً وعقائدياً مرتبطاً بيوغوسلافيا القديمة ويسعى الى احيائها من جديد.

من جانبهم، اعتبر المسلمون ان السعي الكرواتي الحثيث الى تطبيق مشروع الوسيطين سايروس فانس واللورد ديفيد اوين – حسب المفهوم الكرواتي وقبل ان يقوم الطرف الثالث، اي الصرب، بتوقيعه – كان سبباً رئيسياً في الصدامات الجارية، خصوصاً ان «مجلس الدفاع الكرواتي» اعطى وحدات الجيش البوسني مهلة حتى منتصف الشهر الجاري لمغادرة المناطق ذات الغالبية المسلمة التي منحتها خطة فانس – اوين للكرواتيين، او تسليم اسلحتهم.

وتزامن هذا الانذار مع اشارات كرواتية سلبية. فقد قام وزير الدفاع الكرواتي بزيارة لمدينة ترافنيك طالب خلالها جنوده برفع العلم الكرواتي الى جانب العلم البوسني، مشدداً على ان ترافنيك والمناطق المحيطة بها هي اراض كرواتية. وبعد هذا الحادث توترت الاوضاع بين الطرفين، خصوصاً اثر مقتل ستة من المسلمين في المدينة لتنفجر موجة العلاقات التي شملت فيتيز وزنيتسا ويابلانيتسا وكونيتس.

وفي اطار رصد الاسباب التي ادت الى تفجير هذه الصدامات لا بد من الاشارة الى الضغوط النفسية التي تعرض لها المسلمون من جانب الكرواتيين الذين يتحكمون في طرق الامدادات الاغاثية والعسكرية وقيامهم بسلبها احياناً (ورد ذلك في رسالة رسمية من الرئيس البوسني علي عزت بيكوفيتش الى نظيره الكرواتي فرانيو تودجمان) وقيامهم باغلاق الحدود البوسنية – الكرواتية من دون مراعاة للحاجات الطارئة للجانب المسلم. يضاف الى ذلك الاذلال النفسي الذي يلاقيه اللاجئون البوسنيون في كرواتيا وحملات وسائل الاعلام الكرواتية التي لا تتوقف عن الحديث عن الجميل الكرواتي في ايواء اللاجئين الذين قدرتهم بنصف مليون لاجئ اتضح اخيراً، وحسب تصريح ماتي جرانتش نائب رئيس الحكومة الكرواتية، ان نصفهم من الكرواتيين القادمين من الأراضي الكرواتية المحتلة.

وبغض النظر عن صحة هذه الأسباب فانها تصلح ربما لتفسير هذا الحدث الآني، لكنها تعجز عن تحديد أسباب نشوئها أصلاً إذا لم تتم الاشارة الى الحلم الكرواتي الذي يراود الرئيس تودجمان بتقسيم البوسنة – الهرسك والذي كان محور محادثات متكررة بين قيادات صربية وكرواتية. وقد فشلت هذه المحادثات بسبب الخلاف على المساحات المقسمة بين الطرفين.

وترى بعض أصوات المعارضة، (الضعيفة أصلاً في كرواتيا)، ان الكرواتيين بدأوا التصعيد بعدما تمكنوا من تحرير أراضيهم في البوسنة وانه يمكن القول انه ليست لديهم مشكلة الآن مع الصرب. يضاف الى ذلك ان القيادة الكرواتية اعتمدت الدرس الصربي القائل بفرض الأمر الواقع وعدم الاعتراف بالمواقف الدولية المعارضة التي ستظل حبراً على ورق. وتدعي القيادات الكرواتية في البوسنة ان المسلمين أصبحوا الآن أمام مفترق صعب وان عليهم لحسن أمورهم اما الانحياز الى الصرب أو الكرواتيين. ومن الطبيعي، من وجهة نظرهم، الانحياز الى الجانب الأقوى، أي الصرب. ويفسرون بذلك ما وصفوه بالتنازل العسكري عن شرق البوسنة والوجود الكثيف للجيش البوسني وسط البوسنة كدلالة على صحة مقولتهم.

لكن رصد الموقف الكرواتي يكشف بعض التناقضات في مسيرته. وعلى سبيل المثال، فيما تسعى كرواتيا الى دعم علاقاتها مع العالم العربي وترسل الوفود الى دوله وتفتح السفارات وتعقد الاتفاقات الاقتصادية وتستقبل وفوداً إسلامية ديبلوماسية رفيعة المستوى (خصوصاً من إيران وتركيا) يصعد الكرواتيون حربهم ضد المسلمين وسط البوسنة وتعلن حكومة زغرب دعمها العسكري والسياسي لهم. وهذا التخبط لم يقتصر على الموقف في البوسنة – الهرسك، بل ظهر أيضاً في موقف كرواتيا من قضية اراضيها المحتلة. فمرة تعقد لقاءات سرية وتعلن تشكيل لجان لتطبيع العلاقات مع الصرب وتتحدث عن الحل السياسي كمخرج وحيد للأزمة ومرة تؤكد حتمية الحل العسكري وترفض التجديد للقوات الدولية وتشن عمليات عسكرية لاستعادة مناطق احتلها الصرب في كرايينا. ولهذا رأى بعض المراقبين المحليين في مبادرة الكرواتيين في البوسنة الى شن هجمات على المسلمين وتأييد زغرب لهم دلائل على انهيار سياسة تودجمان واثباتاً لفشلها في البوسنة، بعدما فشلت حتى الآن في كرواتيا نفسها وفي مجال تحرير أراضيها.

25/4/1993 جريدة الحياة ،